معارف
ISSN 1112-7007
EISSN 6804 -2600
المجلد 18/ العدد 1 (جوان 2023): ص.ص: 658-674

التداولية وعلاقتها بالعلوم المعرفية الأخرى
بحث في النشأة والتطور

The Pragmatic and its relationship to other cognitive sciences
Research into genesis and evolution

ط.د. صبرينة لقمان[1] * أ. د. حياة أم السعد[2]

[1]جامعة الجزائر2، الجزائر، sabrina.lokmane @univ-alger2.dz

[2]جامعة الجزائر2، الجزائر، oumssadhayet@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/03/15؛ تاريخ القبول: 2023/05/22؛ تاريخ النشر: 2023/06/05

ملخص:

نسعى من خلال هذه الورقة البحثية إلى تتبع المسار التطوري للتداولية كمجال معرفي متعدد المشارب، يمنحنا عددا من الآليات الإجرائية التي تسهم في دراسة الخطاب اللغوي والأدبي على حد سواء، مما توجب علينا أن نضع اليد على تحديدات هذا المجال المعرفي الواسع فلا يمكننا الحديث اليوم عن تداولية بل عن تداوليات، لهذا رأينا أن نضبط تعريفا للتداولية، نشأتها وجملة العلاقات التي تربطها بمجالات معرفية متنوعة.

كلمات مفتاحية: التداولية؛ النشأة؛ التطور؛ العلاقة؛ العلوم المعرفية.

Abstract:

Through this research paper, we seek to follow the evolutionary path of The Pragmatic as a multi-layered field of knowledge, which gives us a number of procedural mechanisms that contribute to the study of both linguistic and literary discourse. We must therefore take into account the limitations of this broad area of knowledge.

Keywords: Pragmatic; Genesis; Evolution; relationship; Cognitive Science.

* المؤلف المرسل.

المقدمة:

شغلت التداولية أو علم استعمال اللغة كما يصطلح عليه، حيّزا مهما في دراسات الباحثين والنقاد، كونها نظرية أجابت عن مجموعة من الأسئلة التي عجزت أو أغفلت لسانيات "فرديناند دي سوسير"Ferdinand de Saussure الإجابة عنها، -وذلك لعنايتها الفائقة بالسياق التواصلي للوضعية التخاطبية...الذي همش في الدراسات اللّسانية السابقة، من هنا تروم هذه الدراسة الموسومة التداولية وعلاقتها بالعلوم المعرفية الأخرى- بحث في النشأة والتطور- تتبع المسار التطوري لهذا التوجه في بدايته كما عني به التقسيم الثلاثي المدشن من قبل الفيلسوف الأمريكي **"شارل موريس"Charles Maurice** سنة 1938، وأيضا إلى تقصّي اللّبس حول تعدد مصطلح التداولية الذي يتغير مفهومه واستعمالاته في دراسات كثيرة، وصولا للعلاقة التي تجمع التداولية بمجموع العلوم المعرفية.

قبل ذلك كان لزاما علينا الوقوف على نشأة التداولية وتاريخها قبل الخوض في علاقتها بالعلوم المعرفية الأخرى، لأن الاحاطة بتفاصيل الحقل المعرفي تستدعي لا محالة الوقوف على أصوله ومراحل نشأته وتطوره وغيرها من الأمور التي سيبرزها هذا البحث، عبر مجموعة من التساؤلات أهمّها:

كيف انعرجت التداولية عن التحليل اللساني؟ وكيف تحولت من سلّة للمهملات إلى حقل معرفي يعنى بالكشف عن أثر التفاعل التخاطبي أثناء الوضعية التواصلية؟ وأيضا كيف أفادت التداولية من العلاقة التي جمعتها بالعلوم الأخرى؟

للإجابة عن هذه الاشكالات رأينا أولا تقديم تعريف للتداولية كما يفسّره العنوان التالي: **1/التداولية الجهاز المصطلحي والمفاهيمي:**

نروم من خلال هذا الجزء الموسوم بالتداولية الجهاز المصطلحي والمفاهيمي تقديم نبذة بسيطة حول التداولية، التي تعين القارئ على تتبع مسار البحث والهدف الذي يصبو إلى تحقيقه، وأول نقطة سنتطرق إليها هي مسألة المصطلح وحدود المجال التداولي وتحديداته.

مما لا يخفى على جلّ المهتمين بالحقل التداولي وجود تعدد في استعمال مصطلح

التداولية ملتبسا يتغير مفهومه واستعماله في دراسات كثيرة، ونحن نرى أن السبب الرئيس لوجود هذا التعدد هو الترجمة على اختلافاتها، فالتداولية من جهة مجال واسع تناولت بعدها الاصطلاحي العديد من الدراسات النقدية التي لم تضبط استعمالا موحدا لها فنجد ترجمات عدة منها الدراسات "الذرائعية، والنفعية والاتصالية والتبادلية، والسياقية الوظيفية، والبراجماتية، والبراجماتيك، والبراغماتية والبراغماتيك، والمقامية ..."[1].

وغيرها من المصطلحات الرديفة للتداولية التي شاع تداولها عند النقاد والدارسين وتعدد، وهذا الاختلاف راجع في الأساس إلى تداخل واحتكاك الحقول المعرفية والفلسفية مع بعضها البعض. ومن نتائج هذا التفاعل بين مجموع هاته العلوم المعرفية نجد اختلافا أو تعددا في ترجمة مصطلح التداولية إلى اللّغة العربية " منها التداولية والتخاطبيّة ... ومن المصطلحات المقابلة للتداولية نجد التبادلية والتواصلية والقصدية والمقامية، ومنهم من أطلق عليها الفعليات"[2].

ونختم هذا الحديث بالقول على لسان أحد النقاد" أنّ مصطلح التداولية قد تواتر في المعجم الفكري للنّقاد والباحثين العرب على نحو كبير...بخلاف الكتب الغربية التي حملت غموضا في طرائق الإيضاح إلى جانب الغموض والإرباك في ترجمتها"[3]. بناء عليه نؤكد أن الترجمة هي الفاعل الرئيس لتواتر مصطلحات عديدة ومختلفة عبرت عن هذا التوجه الجديد.

بعد التطرق إلى تعدد المصطلح ننتقل إلى تعريف التداولية حيث يحيل لفظ التداولية إلى "مكون من مكونات اللغة، إلى جانب المكوّن الدلالي والمكون التركيبي، وهذا المكون التداولي انبثق عن التقسيم الثلاثي المدشن من قبل الفيلسوف الأمريكي **"شارل موريس"**Charles Maurice في 1938 الذي ميّز مجالات ثلاثة في الإحاطة بأية لغة، سواء أكان صوريا أو طبيعيا.

1/علم التراكيب الذي يعنى بعلاقات الأدلة فيما بينها.

(1)- سامي شهاب أحمد، من مقال التداولية وصلتها باللّسانيات البنيوية والسيميائيات ضمن كتاب جماعي لمؤلفه: بشرى البستاني، التداولية في البحث اللغوي والنقدي، مؤسسة السياب، لندن، 2012، ط1، ص57-58.

(2)- بشرى البستاني، من مقال التداولية من كينونة اللغة الصورية إلى آفاق التواصل لمؤلفه بشرى بستاني، التداولية في البحث اللغوي والنقدي، مؤسسة السياب، لندن، 2012، ط1، انظر، ص.12.

(3)- سامي شهاب أحمد، من مقال التداولية وصلتها باللّسانيات البنيوية والسيميائيات، المرجع السابق، ص63.

2/علم الدلالة الذي يعالج علاقة الأدلة بالواقع

3/التداولية التي تهتم بالعلاقات القائمة بين الأدلة ومستعمليها واستعمالها وآثارها"[1]

إذن جاءت التداولية لتعيد الاعتبار لمستعملي اللغة من خلال وصف معنى الخطابات في سياقها.

وهناك من النقاد من أطلق تسمية سلّة المهملات على التداولية كونها تعالج قضايا غير لسانية حيث أنّه" إلى وقت غير بعيد كان يطلق على التداولية عبارة " سلّة المهملات"، لا يخفى علينا أن التداولية فرع من اللّسانيات وأطلقت عليها هذه العبارة لأنها تعالج قضايا غير لسانية عجزت اللسانيات عن تناولها أو لم ترد تناولها، إلا أن جاءت بعض التعريفات الايجابية التي رأت بأن التداولية تبسيط للسانيات وليست سلّة مهملات"[2].

سرعان ما تراجع هؤلاء النقاد عن هذه التسمية كون التداولية جاءت لتتمّ مسار الدرس اللساني وتجيب عن الأسئلة التي بقيت عالقة بالنسبة له، والرؤية نفسها نجدها عند **"كاترين كيربرات أوركيوني"**Kerberat Orechione Catherine في كتابها **"المضمر"** L'implicite بقولها "وتدّعي هذه الدراسة في فعلها أنّها تساهم في تنمية "التداولية الألسنية" –التي يصفها بعض التقليديون* **"صندوق القمامة" ("Poubelle")**

(1)- دومينيك مانغونو، المصطلحات المفاهيم لتحليل الخطاب، ترجمة: محمد يحياتن، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، 2008، الجزائر، ط1ص13.

(2)- انظر، جاك موشلار وآن ريبول، القاموس الموسوعي للتّداولية، ترجمه مجموعة من الأساتذة والباحثين، بإشراف عز الدين مجدوب، مراجعة: خالد ميلاد، المركز الوطني للترجمة، دار سيناتر للنشر والتوزيع، تونس، 2010، ص28.

*أمّا بار هيليل في:

Y.Bar.Hillel, «out of the pragmatic waste-Basket »,linguistic Inquiry no.2 (1971).

فيلجأ بغية الدلالة على العرض عينه إلى استعمال استعارة مماثلة، ألا وهي: "سلّة المهملات "(wastebasket) في حين يعلن "ليفنسون" في كتابه:

Stephen C.levinson, Pragmatics, Cambridge texte books in linguistics(cambridgge) [Cambridg eshire], New york, Cambridge University, Press, 1983)

أنه لا يجدر بنا أن نعتبر التداولية التواصلية بمثابة ((الخليط المؤلف من مظاهر ألسنية لغوية متباينة بشكل واضح، حيث لا يمتّ بصلة للآخر، كما يكتب "جاك" عن هذه التداولية التواصلية نفسها، ما يلي:"ألم نحمّلها منذ وقت طويل كل إشكاليات الاستعمال الألسنّي اللّغوي المتبقية التي نعجز عن معالجتها في علم دراسة تراكيب الجملة وعلم الدلالة؟"، انظر:

=

والتي كان من الأنسب اعتبارها **"نزلا اسبانيا"** (" Auberge espagnole ") للألسنية مهيأ لاستيعاب كل الأبحاث غير المتجانسة تقريبا...فعلى الرغم من أن البعض يراها سيّئة السمعة إلى هذا الحد، إلا أننا نعتقد أن التفكير الألسني يمكن أن يتغدى في الفترة الراهنة من التداولية التواصلية التي تعود عليه بمنفعة كبرى*"[1].

وفق الرؤيتين السابقتين تكتسي التداولية أهمية كبرى كونها نظرية أجابت عن مجموعة الأسئلة التي عجزت أو أغفلت لسانيات "فرديناند دي سوسير" Ferdinand De Saussure الإجابة عنها، وهذا ما جعل النقاد يتراجعون عن هذه التسمية ويعدونها تبسيطا للسانيات لا سلة للمهملات. وهناك من يعرفها بالقول أنّها: "اتجاه في الدراسات اللّسانية/ يعنى بأثر التفاعل التخاطبي في موقف الخطاب، ويستتبع هذا التفاعل دراسة كلّ المعطيات اللّغوية والخطابية المتعلقة بالتلفظ، ولاسيما المضامين والمدلولات التي يولدها الاستعمال في السياق"[2] وهذه المعطيات تتلخص في مجموعة من الأمور أبرزها:

*معتقدات المتكلم ومقاصده وشخصيته وتكوينه الثقافي ومن يشارك في الحدث اللّغوي.

*الوقائع الخارجية، ومن بينها الظروف المكانية والزمانية والظواهر الاجتماعية المرتبطة باللّغة.

*المعرفة المشتركة بين المتخاطبين، وأثر النص الكلامي فيها"[3] تولي التداولية وفقا

=

Francis Jacques, Dialogique sur le dialogue philosophie d'aujourd'hui (Paris :Press Universitaires de France,1979,P.222.

*ونذكّر بأن الأمر يتعلّق هنا بإعادة نشر نص يعود تاريخ إصداره إلى العام 1986، وأن التداولية التواصلية قد تطوّرت منذ ذلك الوقت تطورا لايستهان به، ويستفيد التأمل في موضوع المضمر اليوم وبشكل خاص من الإضاءة التي تلقيها "نظرية الملاءمة" التي أرسى سبيربر(Sperber) وويلسون (Wilson) ومع ذلك يبدو أنّه لم يستمر "التخلّي" إلى حد بعيد عن المقاربات المطروحة في هذا الصدد بشان الظواهر ذات الصلة بالاضمارية ... انظر: كاترين كيربيرات- اوريكيوني، المضمر، ترجمة: ريتا خاطر، مراجعة:جوزيف شريم، المنظمة العربية للترجمة، لبنان، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 2008، ص25.(الهامش).

(1)- المرجع نفسه، ص25.

(2)- مؤيد آل صونيت، من مقال التداولية مرجعيات ورؤى، التداولية قراءة في النشأة والمفهوم ضمن كتاب جماعي لمؤلفه بشرى البستاني، التداولية في البحث اللغوي والنقدي، مؤسسة السياب، لندن، 2012، ط1، ص32.

(3)- المرجع السابق، ص 32.

للمعطيات السابقة أهمية للمقام أو السياق الكلامي والظروف المحيطة به سواء من قبل المرسل أو المرسل إليه، أو مجموعة من المتخاطبين.

عند تتبعنا لتعريفات التداولية المبثوثة في كتابات الدارسين رأينا أن مفهوم التداولية يختلف باختلاف وجهة نظر باحثيها، ولذا قد يقتصر الباحث على دراسة المعنى التواصلي أو بالأحرى التبليغي أي الطريقة التي يستعملها المرسل لإفهام المرسل إليه، أو من خلال دراسة المقاصد والمرجعيات عبر اهتمام الباحث بالمعايير والمبادئ التي توجه المرسل في إنتاج خطابه ومن هذا التفاوت تظهر التداولية بمفهومها العام كونها:" دراسة الاتصال اللغوي في السياق"[1].

وبالنسبة لنا نجد أن التحديدات التي سيّجت مفهوم التداولية بالرغم من اختلافها، إلا أنها اتفقت على أهمية دراسة الخطاب في بعده التداولي، تمنحنا فرصة البحث في أثر الخطاب بحسب مرجعياته ومعناه، وصولا إلى القصد الذي يريده المتكلم في سياق تواصلي ما، بعد تعدد المصطلح والتعريف ننتقل إلى الحديث عن عنصر لا يقل أهمية عن سابقيه ألا وهو نشأة التداولية والأصول الفلسفية لها، لأن معرفة الحقل المعرفي لا تستقيم أسسه إلا بالوقوف على أصوله التي استمد منها آلياته الإجرائية، فكيف أثرت التداولية في الحقل اللساني؟ وكيف ساهمت فلسفة اللغة في بلورة قضاياها؟

2/التداولية التاريخ والنشأة:

ارتبطت نشأة التداولية ببداية العناية بعلاقة العلامة اللغوية بمستخدمها وارتباط بعض صيغها بما تحيل عليه في المقام، وتأكّد مع **"أوستين"Austin** أن اللغة لا تكتفي بمجرد وصف الكون والإخبار والتواصل بل هي أداتنا لإنجاز أعمال لا تتحقق إلا بواسطة اللغة (الأعمال اللغوية) المؤثّرة في المقام. ولعل انصرافها إلى المقام جعل البعض يرى فيها العلم الذي يدرس تأثير المقام في معنى الأقوال[2].

(1)- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب- مقاربة لغوية تداولية-، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص22.

(2)- آن روبول وجاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ترجمة: سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، مراجعة: لطيف زيتوني، دار الطليعة للطباعة والنشر، لبنان، 2003، ص264.

فالتداولية كمجال معرفي وأداة إجرائية تتعدى وصف الجملة من ناحية التركيب والنحو، وتتجاوز أيضا البحث في دلالات الجمل والألفاظ ومعانيهما المعجمية وهذا الذي يوضحه قول **"فان ديك** "Van Dijk" فعلم الدلالة كان يتوقف عند الألفاظ والمعجم ومعاني التعابير، أما الآن فهناك معرفة العالم التي تساعد على فهمم المعاني الممكنّة، إذ أصبحت مرتبطة بالتأويل الذي تقتضيه معرفة العالم المتّفق عليها"[1] ولهذا فالنص بالنسبة لـ**"فان ديك"**Van Dijk" ذو بنية تراتبية تختلف في هيكلها ونظام اشتغالها عن الترتيب الذي نشهده في توجهنا إلى العالم كشيء ظاهر لنا، لهذا رأى أن يقدم مفهوم البنيات الكبرى الشاملة، باعتبارها بنيات موسعة للخطاب تتجاوز اعتباره متتالية من الجمل ... ذلك لان الخطاب تكونه جملة من المواضيع، أي جملة من هذه البنيات الكبرى."[2].

تتخذ التداولية موضوعا للبحث القول منزلا في المقام المعين وتؤكد دور المعارف غير اللغوية في تأويل الأقوال وفهم المقاصد اعتمادا على الاستدلال*، وقد بدا الاختلاف في تحديد موقع التداولية (هل هي جزء من اللسانيات أم هي مستقلة عنها وتتجاوز في تأويل الأقوال الجانب اللغوي؟)، ونجم عن ذلك اختلاف في تحديد موضوع نظرها (هل تنظر في الأعمال اللغوية وأشكال تحققها وما يتولد عنها من مقاصد؟ وهل تفسّر اختيار تأويل دون آخر، وتبيّن علاقة المشيرات المقامية بالخارج ... الخ، أم أنّها تتجاوز؟، وفق منظور معرفي، هذا الحد معتبرة أن تأويل الأقوال يستند إلى عمليات استدلالية ليست من خصائص اللغة؟)[3]، يتضح لنا من خلال ما سبق ومن خلال هذه التساؤلات نقطتين هما:

(1)-فان ديك، النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ترجمة: عبد القادر قنيني، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2000، ص14.

(2)-حياة مختار أم السعد، تداولية الخطاب الروائي – من انسجام الملفوظ إلى انسجام التلفظ، دار كنوز المعرفة، عمان، 2015، ط1، ص24و25.

*تقول "أوركيوني" في كتابها" المضمر" على مفهوم الاستدلال كونه اسم يطلق على أيّ جميلة مضمرة يمكننا استخلاصها من القول واستنتاجها من محتواه الحرفي عبر التوفيق بين المعلومات ذات وضع متغيّر(من داخل القول ومن خارجه)، وتفصل في هذه النقطة بالقول:"تشير كلمة "استدلال"(inférence) بالتالي إلى إحدى وحدات المحتوى، وليس إلى مجموعة الإجراءات التي تفضي إليه، ونلاحظ، حتّى في مضمار المنطق وجود هذا الانزلاق المجازي المرسل الذي يصيب بمماثلة مصطلحات من مثل((فعل القول)) و((الافتراضية)) (ونستطيع هنا أيضا أن نضع الافتراضية في مقابل المحتوى الافتراضي.

(3)- آن روبول وجاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص264.

1/أن التداولية كما سبق وأشرنا بالنسبة لـ"**أوستين**"Austin لا تنظر إلى اللغة كونها وسيلة للتواصل وفقط وإنما أننا أثناء هذا التواصل نحقق أفعالا عبر اللغة المؤثرة في المقام.

2/إن استراتيجيات التأويل بالنسبة للتداولية تستند إلى أمور خارجة عن اللغة أبرزها السياق.

ونجد "**فان ديك**"Van Dijk في كتابه "النص والسياق" يسعى إلى إدماج النظرية اللسانية في اتجاه التداولية، التي تجمع سائر ظواهر اللسان وتخرج إلى المحيط السياقي وأفعال الكلام... وترى "حياة أم السعد" بأن مثل هذه العملية لن يكون من السهل فهم تجلياتها في اللّغة الأجنبية، فما الحال حين يتعلق الأمر بالترجمة![1]

ومن مجموعة الأسباب التي أدت أو مهدّت إلى نشوء التداولية نجد" توجه معظم التفسيرات اللّسانية إلى سمّة لغوية أخرى أو إلى جوانب معينة من داخل النظرية، وبظهور الحاجة إلى تفسير ذي مرجعية خارجية ظهرت الوظيفية اتجاها ممّهدا للتداولية".[2] فالوظيفية مهدت لظهور التداولية عبر البحث عن تفسيرات لها مرجعية خارجة عن اللغة أي تتجاوز دراسة اللغة في ذاتها ولذاتها، وفي العموم يمكن القول أن الدراسة التداولية أو البعد التداولي يضم مجموعة من الأمور هي "أثر المتلقي، والموقف، وهدف النص، والمقام، ونوع المعلومة المطروحة، وأنواع التفاعل، وأشكال السياقات، وكيفية التواصل، وغير ذلك مما يختص بالعلاقة بين العلامات ومستعملي هذه العلامات"[3].

أما عن تاريخ التداولية:" فليس بمعدوم ولكنّه غير ممتد في الزمان إلا قليلا (ثلاثون عاما). ومن المفارقة أن التّداولية ليست صناعة ولدت من برنامج بحيث صيغ صياغة مجرّدة، كما هو حال العلاميّة مثلا التي اتّبعت على الأقل في تقاليد القارّة الأروبية، البرنامج الذي أطلقه "سوسير" في بداية القرن (انظر Saussure (1986 "[4] .

(1)- انظر، حياة مختار أم السعد، تداولية الخطاب الروائي، المرجع السابق، ص26.

(2)-مؤيد آل صونيت، من مقال التداولية مرجعيات ورؤى، التداولية قراءة في النشأة والمفهوم، ص 37.

(3)- المرجع نفسه، ص 38.

(4)- جاك موشلار وآن ريبول، القاموس الموسوعي للتّداولية، ص21.

3/الأصول الفلسفية:(الفلسفةالتحليلية*) Philosophie analytique

مثّلت الفلسفة التحليلية اللّبنة الأولى التي انبنت عليها التداولية وتشّكلت، وذلك لاهتمامها المكثّف باللّغات الطبيعية التي أهملت سابقا(في الفلسفات الأخرى)، فهي المنبع الذي استقت منه التداولية مختلف ملاحظاتها وتساؤلاتها، وهذه الفلسفة هي التي أولت عناية فائقة باللّغة، عبر تأثرها بالتيّارات الفلسفية الجديدة التي جاء بها كل من **(فريجه)** Frege، وعدد من الفلاسفّة منهم **(هوسرل)** Husserl **و(كارناب)** Carnap **و(فيتغنشتاين)** Wittgenstein **و(أوستين)** Austin **و(سيرل)** Searl، بالنسبة لهؤلاء الفلاسفة تكتسي اللغة أهمية بالغة في فهم الإنسان لنفسه ولعالمه المحيط به، وهذه الرؤية هي من أهم منطلقات الفلسفة التحليلية التي تختلف عن الفلسفة التي اعتنت بالظواهر المجردة وانبثقت من رحمها النظريات اللسانيّة السابقة للتداولية، لذا نجد هذه الأخيرة تتجذّر في" أعمال فلاسفة اللّغة وبالخصوص في سلسلتي محاضرات قدمت بجامعة هارفارد (محاضرات **وليم جايمس** (James William) ألقاها سنة 1955 **"جون أوستين"**Jhon Austin ..."[1] .

نجد هذا التجذر مترسّخا في **معجم تحليل الخطاب** حيث أن التداولية" قد تطورت

---

*تتميز الفلسفة التحليلية بإجابتها عن أسئلة (أو بردها) من خلال إيضاحها للغة التي صيغت فيها هذه الأسئلة، من أجل ذلك يصار إلى تحليل العبارات المركبة وردها إلى عناصر أكثر سهولة وأكثر تأسيسا، كما يصار إلى فحص دلالات المفاهيم والقضايا هذا إلى جانب تفحص مضمون النص الذي استخدمت فيه، يهدف التحليل إلى البحث عن أسس البرهان وعن تحديد شكل صلاحيته.

تعتبر فلسفة اللّغة مجال الفلسفة التحليلية، أما أهميتها بالنسبة إلى العلوم الأخرى (الأخلاق، فلسفة الدين والأنطولوجيا) فتقوم على تقويم العبارات والمقولات المستخدمة وعلى تحاشي سوء الفهم النابع من اللّغة.

-لا يهدف التحليل أساسا إلى جعل النظرية أكثر انتظاما، أو لإبراز النظرية في كليتها، بل هو خلافا لذلك أداة تتيح تحرير العقيدة الفلسفية من الغموض الذي تسببه اللّغة، ومع جيلبرت رايل (Gilbert Ryle) نقول: "يجب ... على الاعتبارات الفلسفية ...ألاّ تزيد من معارفنا، بل علينا أن تصحح الجغرافية المنطقية لهذه المعرفة" انظر، بيتر كونزمان، فرانز، بيتريو ركارد وآخرون، أطلس الفلسفة-DTV- ترجمة: جورج كتورة، المكتبة الشرقية، بيروت لبنان، ط2، ص219.

للتوضيح أكثر اطلع على كتاب: لالاند، أندري، معجم المصطلحات الفلسفية التقنية والنقدية، المجلّد الأول، تعريب: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، ط2، 2001، ص64و65.

(1)- جاك موشلار وآن ريبول، القاموس الموسوعي للتّداولية، ص21و 22.

بصفة خاصة انطلاقا من أبحاث في فلسفة اللّغة **أوستين** Austin حول أعمال اللغة"[1]، من خلال ما سبق يتضح لنا أن التداولية انبثقت من رحم الفلسفة التحليلية التي أولت عناية فائقة باللّغة:" فقد أدخل **"أوستين"** Austin في سلسلة محاضراته المخصصة للفلسفة، مفهوما سيصبح محوريا في التداوليّة، وهو مفهوم العمل اللّغوي، مدافعا بذلك عن الفكرة القائلة بأن اللّغة في التواصل ليس لها أساسا/ وظيفة وصفية بل لها وظيفة عمليّة"[2].

فاللّغة عنده لا تستعمل من أجل الوصف وفقط وإنما تضطلع بدور مهمّ، يتجلّى في تحقيق أفعال عن طريق الأقوال أي أننا أثناء كلامنا لا نحقق وصفا وإنما ننجز أفعالا، تسمّى أفعالا لغوية أو ما يعرف تداوليا بأفعال الكلام (Les actes de parole).

إن الفلسفة التحليلية كانت تنظر إلى اللّغة الطبيعية على أنها لغة قاصرة في تفسير الظواهر التواصلية، لأن هذه الأخيرة كانت محكومة بمبادئ العقل لذلك نجد كل منهما، **غرايس وأوستين(** Grice ; Austin**)** يخالفان هذه الفلسفة حيث يقول كل من **"جاك موشلار وآن ريبول"** Jaques Moeschler et Anne Reboul في **القاموس الموسوعي للتّداولية** أنّه: "قد خالف "غرايس" شأنه شأن "أوستين"، التقليد الفلسفي الذي ينتسب إليه، ولئن أثبت "أوستين" الطابع غير الوصفي للأقوال فقد دافع "غرايس" عن الأطروحة القائلة بأن المضامين المبلّغة على نحو غير مباشر في التواصل (ما يسمّيه الاستلزامات المحادثية)* توافق الجوانب غير الصدقية للأقوال".[3]

بمعنى أنّه في فهمنا للأقوال نستطيع التحصل على حمولة معنوية مضمنة في الجملة

(1)-باتركريك شارودو، دومينيك منغنو، معجم تحليل الخطاب، ترجمة: عبد القادر المهيري، حمّادي صمّود، مراجعة: صلاح الدين الشريف، المركز الوطني للترجمة، دار سيناترا، تونس، 2008، ص442و443.

(2)- جاك موشلار وآن ريبول، القاموس الموسوعي للتّداولية، ص22.

*تستدعي الاستلزامات الخطابية المحادثية تدخل مبدأ التعاون على انّه المفروض أن يكون كلّ مشارك في المحادثة متعاونا في عملية التبادل القوليّ، بمعنى أن مساهمته يجب أن تكون موافقة لما هو مطلوب منه وذلك وفق ما يفرضه اتجاه المحادثة وأهدافها المقبولة ضمنيا ويفترض السلوك المتعاون أن يستعمل المتكلّم (أي يستغل) أثناء المحادثة التالية: حكم الكم، حكم العلاقة، حكم الكيف...للتوسع أكثر انظر: جاك موشلار وآن ريبول، القاموس الموسوعي للتّداولية، ص266.

(3)- جاك موشلار وآن ريبول، القاموس الموسوعي للتّداولية، ص22.

لا تصرح بها الجملة نفسها أو بعبارة أخرى أن محاولة فهم الجمل أو النصوص أو الخطابات وغيرها، انطلاقا من السياق الذي تنتمي إليه يفضي إلى عدة معان، قد يكون هو نفسه المعنى المراد من الجملة أو قد يكون معنى مغايرا، أو هو مجموعة من الأقوال التي تفهم انطلاقا من السياق التواصلي لتلك الأقوال.

بعد هذه اللمحة التاريخية القصيرة ننتقل إلى الحديث عن عنصر آخر وهو علاقة التداولية بالحقول المعرفية الأخرى وكيف استفادت منها؟ وهذا ما سنتناوله في الجزء اللاحق.

4/علاقة التداولية بالحقول المعرفية الأخرى:

إن الحديث عن التداولية كجهاز مفاهيمي يفضي إلى الحديث عن مجموعة من الحقول المعرفية التي توحي التداولية بالانتماء إليها... فالبنية اللغوية وعلاقتها بظروف الاستعمال وقواعد التخاطب وغيرها من الأمور التي تمثل التداولية من خلالها حلقة وصل تجمع بين مجموعة من الأنظمة المعرفية كالفلسفة التحليلية واللسانيات وعلوم التواصل، وعلى الرغم من اختلاف الدارسين حول هذا الجهاز المفاهيمي إلا أن معظمهم: "يقرّ بأن التداولية هي "إيجاد" القوانين الكلية للاستعمال اللغوي والتعرّف على القدرات الإنسانية للتواصل اللغوي، وتصير التداولية، من ثمّ، جديرة بأن تسمّى "علم الاستعمال اللغوي".[1]

فالتداولية باعتبارها فرعا من اللسانيات تعرف بأنّها:" دراسة استعمال اللّغة مقابل دراسة النظام اللّساني الذي تعنى به تحديدا اللّسانيات"[2]. فإذا عنيت اللّسانيات باختلاف توجهاتها بدراسة اللّغة في ذاتها ولذاتها، فإننا نجد التداولية اليوم علما جديدا في التواصل يعنى بدراسة اللّغة أثناء الاستعمال، ونجد علم الدلالة باعتباره فرعا من اللّسانيات يعنى بدراسة المعنى المعجمي للكلمات، في حين تسعى التداولية إلى دراسة ذلك المعنى لكن من خلال السياق الذي يرد فيه.

وهذان المحوران أي التداولي والدلالي يشتركان في أن كلاهما يدرس المعاني، ويختلفان

(1)- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداوليّة لظاهرة " الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2005، ص16و17.

(2)-جاك موشلار وآن ريبول، القاموس الموسوعي للتّداولية، ص21.

في أن علم الدلالة يدرس هذه المعاني دون النظر إلى سياقاتها، في حين أن التداولية تولي أهميّة قصوى لهذه السياقات... فنجد علم الدلالة يعنى بالمعنى المعجمي مثلا: ماذا نقصد بكلمة "كتب"، في حين نجد التداولية تعنى بالإجابة عمن كتب وكيف كتب ولمن كتب والطريقة التي كتب بها.

تتميز التداولية بسعتها في دراسة اللّغة، مما أدى إلى تفرع مجموعة من النظريات عنها، لم تقتصر هذه الأخيرة على الباحثين اللغويين فحسب بل نجد لها امتدادا في مجموعة من التخصصات كالفلسفة والمنطق وغيرها، أما بالنسبة لأطرها اللّغوية في تحليل الخطاب فقد عنت بمجموعة من الجوانب يمكن تصنيفها إلى ثلاثة مسارات تضمنت بدورها مجموعة من الدراسات المتلاحقة بشكلها العام، هذه المسّارات العامة هي: الأفعال الكلامية، القصد، أو المعنى التداولي، الإشاريّات، ولا يتم تحديد هذه الجوانب بدّقة إلا في الخطاب المستعمل[1].

فالتداولية تخترق " جملة العلوم الإنسانية، وهي لا تشير إلى نظريّة مخصوصة بقدر ما تشير إلى تقاطع تيّارات مختلفة تشترك في عدد من الأفكار الفاعلة "[2].

لقد أفضت التداولية كونها علم جديد في التواصل من خلال أعمال كل من **"أوستين"**Austin و**"غرايس"** Grice "إلى ظهور دفق من الأعمال ذات أصول علميّة متعددّة التوجهات، مثل فلسفة اللّغة واللسانيات والمنطق وعلم النفس العرفاني واللّسانيات النفسية واللّسانيات الاجتماعية والذكاء الاصطناعي"[3].

ذلك نجد أن التداولية حاولت الإجابة عن عديد الأسئلة التي عجزت اللّسانيات، ونخص بالذكر البنيوية في الإجابة عنها حيث" وعلى الرغم من عدم الوضوح الذي اكتنف التداولية، فإن مجمل الأفكار والملاحظات والتساؤلات التي لم تتمكن المدارس اللّسانية (ومنها البنيوية) من الإجابة عنها - قد وجدت سبيلها في هذا الاتجاه"[4].

(1)- انظر، عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب- مقاربة لغوية تداولية-، ص24.

(2)- باترريك شارودو، دومينيك منغنو، معجم تحليل الخطاب، ترجمة: عبد القادر المهيري، حمّادي صمّود، مراجعة: صلاح الدين الشريف، المركز الوطني للترجمة، دار سيناترا، تونس، 2008، ص444.

(3)- جاك موشلار وآن ريبول، القاموس الموسوعي للتّداولية، المرجع نفسه، ص22.

(4)- مؤيد آل صونيت، التداولية مرجعيات ورؤى، التداولية قراءة في النشأة والمفهوم، ص31.

5/مهام التداولية:

إن ما نادت به النظريات النسقية التي تعنى بصميم النص الأدبي، وتغفل كل ما هو خارج عنه، حيث نجد "**رولان بارت**"Roland Bartes يعلن في العديد من المرات عن موت المؤلف، في مقابل ذلك بدأت نظريات تلوح في الأفق تولي العناية بالقارئ، وبكل ما هو خارج النص وهو ما يعرف بالمناهج السياقية "فكانت بداية النظريات الجديدة في جذور البحث التداولي وفي نظريات القراءة أولا، ثمّ أعطت السلطة الكلّية للقارئ في بناء المعنى...ثمّ جاء التفكيك ليمنح بناء المعنى للقارئ كلّيا وليفعل فعلته التقويضية للنص ... وكان عبر هذا وذاك ينمو ويتطور تيار جديد يولي الاهتمام لأطراف لا مناص من تفاعلها لإنتاج دلالات تتلاءم مع ظروف تشكلها وتلقيها معا".[1]

يكتسي إذن السياق بالنسبة للتداوليّة دورا مهما فـ" لعلّ المتفق عليه أن مهمّتها تأكيد فعل السياق في العملية التواصلية، وأهميته في الكشف عن المغيبات المتضمنة داخل الخطاب والتّي كان لها الأثر الكبير في تحديد معاني النصوص، لذا كان هدفها السعي لفهم العوامل خارج لغوية لتوظيفها من أجل فهم أعمق للخطاب"[2].

تضطلع التداولية بدور رئيس يعنى بكيفية فهم الأقوال غير الحرفيّة عند التواصل، ولماذا استعملت بدلا من غيرها، مما يتطلب استدعاء السياق من أجل فهمها " وبعبارة أخرى فان مهمّة التداولية أن تصف، بواسطة مبادئ غير لسانيّة، عمليات الاستدلال الضرورية للوصول إلى المعنى الذي يبلّغه القول...وتختلف النظريات التداوليّة حول طبيعة المبادئ التي ينطلق منها في البحث عن المعلومات غير اللغوية: مبدأ التعاون عند "**غرايس**"Grice 1975.مبدأ المناسبة عند "**سبربر**" Sperber و"**ولسون**"Wilson (1986و1989)، المواضع لدى "**انسكمبر**" Anscombre، و"**دكرو**"Ducrot 1983"[3].

يتضح من خلال " المسار التطوري المشار إليه أعلاه أنّ المقاربة التداولية قامت على الأسس التي وضعتها فلّسفة اللغة مع كلّ من أوستين Austin وسيرل Searle وغرايس

(1)-بشرى البستاني، التداولية في البحث اللغوي والنقدي، مؤسسة السياب، لندن، 2012، ط1، من مقال التداولية من كينونة اللغة الصورية إلى آفاق التواصل لمؤلفه بشرى بستاني، انظر، ص11و12.

(2)- المرجع نفسه، انظر، ص15.

(3)- جاك موشلار وآن ريبول، القاموس الموسوعي للتّداولية، ص 26.

Grice، فقد عمل كلّ واحد من جهته على تقديم رؤية لمقاربة اللّغة في إنجازاتها المختلفة"[1].

"تتموقع المقاربة التداولية ضمن تطورات وتمديدات النقد البنيوي، لكنّها في الوقت نفسه تقطع معه بعض قضاياه الأساسية، فهي توسع من الحقل البنيوي فيما يتعلق بتحرير النص"[2]. فالتداولية بهذا المبدأ وان أخذت من الدراسات البنيوية السابقة له، والتّي جعلت النص الأدبي منغلقا على ذاته باعتباره بنية تتفاعل عناصرها الداخلية لتفيض بالدلالة نجد التداولية ترسم معالم لمقاربة جديدة تلوح في الأفق، وهي مقاربة النصوص التخييلية من منظور نظرية التلفظ التي تجعل من النصوص الأدبية عالما مفتوحا على استراتيجيات التأويل المختلفة.

وهذا البعد التداولي للغة يفضي إلى طرح مجموعة من الأسئلة هي: "هل تمثّل التداولية مكونا من اللّسانيات؟ هل يمكن الحديث عن تداولية لسانية؟ ما الصلات التي تقيمها التداولية مع اختصاصات أخرى كالفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع والذكاء الاصطناعي"[3]. ومن وجهة نظري الخاصة أرى أن التداولية أفادت كثيرا من الدراسات اللسانية السابقة لها إلى جانب علاقتها التكاملية مع بقية هذه العلوم والمناهج الأخرى كالمنهج الثقافي وغيرها من المناهج.

خاتمة:

في نهاية هذه الدراسة نخلص إلى مجموعة من النتائج أهمها:

- أن السبب الرئيس لتعدد ترجمات مصطلح التداولية مرده إلى الترجمة كون الدراسات النقدية، لم تضبط استعمالا موحدا له، وأيضا إلى تداخل واحتكاك الحقول المعرفيّة والفلسفية مع بعضها البعض، ما ينجم عنه اختلافا في ترجمة مصطلح التداولية إلى اللّغة العربية.

(1)- سعيد جبار، التخييل وبناء الأنساق التداولية نحو مقاربة تداولية، رؤية للنشر والتوزيع، 2013، ط1، ص30.

-(2) Dominique Maingueneau, pragmatique pour le discours littéraire, Bordas, Paris, 1990, p

(3)- جاك موشلار وآن ريبول، القاموس الموسوعي للتّداولية، المرجع نفسه، ص22.

- لاحظنا من خلال المسار التطوري للتداولية عبر مراحل النشأة والتاريخ انبثاق التداولية من رحم الفلسفة التحليلية التي أولت عناية فائقة باللّغة، وذلك عبر تأثرها بالتيّارات الفلسفية الجديدة التي جاء بها كل من (فريجه) Frege، وعدد من الفلاسفّة منهم (هوسرل) Husserl و(كارناب) Carnap و(فيتغنشتاين) Wittgenstein و(أوستين) Austin و(سيرل) Searl.

- انعطفت التداولية عن الدراسات اللسانية السابقة لها، لاهتماهما بجوانب أغفلتها اللسانيات قبلها، وذلك بإعادة الاعتبار للمقام أو السياق الكلامي والظروف المحيطة به، سواء من قبل المرسل أو المرسل إليه أو مجموعة من المتخاطبين، ودوره في الكشف عن دلالات صريحة وأخرى ضمنية يعين السياق التواصلي على استقرائها.

- ساهمت التداولية وفق ما جاءت به، ومن إفادتها من النقد البنيوي في تحرير النص الأدبي من القوقعة التي وضعته فيها الدراسات اللسانية السابقة التي لم تتجاوز دراسة حدود الجملة في ذاتها ولذاتها. حيث ترسم التداولية اليوم معالم لمقاربة جديدة تلوح في الأفق، وهي مقاربة النصوص التخييلية من منظور نظرية التلفظ التي تجعل من النصوص الأدبية عالما مفتوحا على استراتيجيات التأويل المختلفة.

المراجع:

المراجع العربية:

- آن روبول وجاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ترجمة: سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، مراجعة: لطيف زيتوني، دار الطليعة للطباعة والنشر، لبنان، 2003.

- باترريك شارودو، دومينيك منغنو، معجم تحليل الخطاب، ترجمة: عبد القادر المهيري، حمّادي صمّود، مراجعة: صلاح الدين الشريف، المركز الوطني للترجمة، دار سيناترا، تونس، 2008.

- بشرى البستاني، من مقال التداولية من كينونة اللغة الصورية إلى آفاق التواصل لمؤلفه بشرى بستاني، التداولية في البحث اللغوي والنقدي، ط1، مؤسسة السياب، 2012.

- بيتر كونزمان، فرانز، بيتريو ركارد وآخرون، أطلس الفلسفة-DTV- ترجمة: جورج كتورة، ط2، المكتبة الشرقية، لبنان.

- جاك موشلار وآن ريبول، القاموس الموسوعي للتّداولية، ترجمه مجموعة من الأساتذة
- حياة مختار أم السعد، تداولية الخطاب الروائي – من انسجام الملفوظ إلى انسجام التلفظ، ط1، دار كنوز المعرفة، عمان، 2015.
- دومينيك مانغونو، المصطلحات المفاهيم لتحليل الخطاب، ترجمة: محمد يحياتن، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2008.
- سامي شهاب أحمد، مقال التداولية وصلتها باللّسانيات البنيوية والسيميائيات كتاب جماعي لمؤلفه : بشرى البستاني، التداولية في البحث اللغوي والنقدي، ط1، مؤسسة السيّاب، 2012.
- سعيد جبار، التخييل وبناء الأنساق التداولية نحو مقاربة تداولية، ط1، رؤية للنشر
- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب- مقاربة لغوية تداولية-، ط1، دار الكتاب الجديدة المتحدة، لبنان، 2004.
- فان ديك، النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ترجمة: عبد القادر قنيني، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2000.
- كاترين كيربيرات- أوريكيوني، المضمر، ترجمة: ريتا خاطر، مراجعة: جوزيف شريم، ط1، المنظمة العربية للترجمة، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 2008.
- لالاند، أندري، معجم المصطلحات الفلسفية التقنية والنقدية، المجلّد الأول، تعريب: خليل أحمد خليل، ط2، منشورات عويدات، 2001.
- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة " الأفعال
- مؤيد آل صونيت، من مقال التداولية مرجعيات ورؤى، التداولية قراءة في النشأة والمفهوم ضمن كتاب جماعي لمؤلفه بشرى البستاني، التداولية في البحث اللغوي والنقدي، ط1، مؤسسة السياب، 2012.
الكلامية "في التراث اللساني العربي، ط1، دار الطليعة، بيروت، 2005.
والباحثين، بإشراف عز الدين مجدوب، مراجعة: خالد ميلاد، المركز الوطني للترجمة، دار سيناتر للنشر والتوزيع، تونس، 2010.
والتوزيع، 2013.

المراجع الأجنبية:

- Y.Bar.Hillel, «out of the pragmatic waste-Basket », linguistic Inquiry no.2 (1971).
- Stephen C.levinson, Pragmatics,Cambridge texte books in linguistics (cambridgge) [Cambridg eshire], New york, Cambridge University, Press,1983)).
Francis Jacques, Dialogique sur le dialogue philosophie d'aujourd'hui (Paris, Press Universitaires de France, 1979.
Dominique Maingueneau, pragmatique pour le discours littéraire, Bordas, Paris, 1990.